رابط المادة على منصة باحث

قصة اللغة العربية

قصة اللغة العربية)51(المسألة الزنبورية - المناظرة التي قتلت سيبويه

محمد صالح

السلام عليكم ورحمة الله مرحبا بكم في هذه الحلقة التي طال انتظارها والتي مهدت لها عبر الحلقات الماضية المسألة الزنبورية هو اسم اطلق على مناظرة حدثت بين سيبويه رأس مدرسة البصرة في عصره وبين الكسائي - 00:00:05

رأس مدرسة الكوفة حول بعض المسائل اللغوية الزنبور هو الحشرة الاسعة التي تشبه النحل وهي التي دار حولها المثال الذي اختلفوا حوله وقد اكتسبت هذه المسألة شهرة واسعة بسبب احداثها وحقيقة وفاة سيبويه المأساوية بعدها وبسببها - 00:00:26

ولان النحو انقسم بشكل واضح الى طريقة بصرية وطريقة كوفية. وقام بعد ذلك صراع شرس على التفوق العلمي سوف نتكلم عن احداثها ونحلل النتيجة ونختبر من الذي كان معه الحق فعلا - 00:00:48

ثم نتحدس هل من المعقول ان يتأثر سيبويه لهذه الدرجة ويموت ستكون حلقة شيقة ان شاء الله فابقوا معنا ولابد ان اذكر مقدمة ضرورية لمن لا يعرف السياق او يمكنك الذهاب مباشرة لاحداث المناظرة عبر الضغط على الشريط الاحمر او الضغط على الوقت في وصف الحلقة في الاسفل - 00:01:06

وقبل ان ابدأ اطلب من المشاهدين ان نتحلى بالروح العلمية وان نحلل المسألة كما هي من ناحية لغوية وان نبتعد عن التعليقات التي تتعصب بطريقة مذهبية او قومية بدأت مدينة البصرة في دراسة اللغة العربية قبل الكوفة بمائة سنة تقريبا - 00:01:32

وقد نشأ ثلاثة اجيال او اربعة من العلماء ناقشوا وتكلموا حتى ظهر جيل الخليل ابن احمد وتلميذه سيبويه والذي جمع علم استاذه وعلم البصرة بوجه عام في كتاب سمي الكتاب - 00:01:58

اي ان العلم كان قد اكتمل في البصرة فيما كانت الكوفة منشغلة بدراسة الفقه ورواية الاشعار وقراءات القرآن الكريم ومن الجدير بالذكر انه كانت توجد حساسية سياسية بين المدينتين نتيجة الاحداث التي مرت بها الدولة الاسلامية - 00:02:15

وفي وقت قصتنا كانت الكوفة اقرب الى امزجة الحكام العباسيين من البصرة التي كانت تعد مدينة اموية الهوى هذه الخلفية التاريخية مهمة. لانها تفسر بعضا من التوتر الذي كان قائما بينهما ورغبة كل مدينة في التفوق على الاخرى - 00:02:34

ومما يجدر بالذكر ان الكوفة بدأت دراسة العربية بشكل حقيقي على يد الكسائي بعدما انتهت البصرة بالفعل من وضع وتثبيت قواعد اللغة عبر مائة سنة كاملة لهذا كان المصريون يعتبرون انفسهم اساتذة اللغة العربية وهم كذلك فعلا - 00:02:54

كان الكوفيون حتى ذلك الوقت يستأثرون بقرب الخلفاء وتربية اولادهم. وما يصاحب ذلك من اسباب التقدير والشرف وكان المصريون يرون انهم اصحاب العلم لدرجة ان البصري كان يتحرج ان يسمع من الكوفي فيما يسمع الكوفي من البصري ولا يرى حرجا في ذلك - 00:03:16

ومن المهم ان اشير الى ان هذه المناظرة هي مواجهة بين طريقتي تفكير وليست فقط بين شخصي سيبويه والكسائي فقد عبر كل منهما بصدق عن طريقة تفكير مدينته. ولم يكن الامر شخصيا - 00:03:39

الكسائي قارئ قرآن ثقة وهذه الثقة هي التي جعلت الناس يأخذون منه القرآن حتى الان. وهذه المكانة تحميه من ان يكذب لاجل منافسة كهذه وهو اعلى مقاما من هذا ولكنه قال ما يعتقد فعلا انه الصواب - 00:03:56

وكان المصريون كما ذكرنا يريدون وضع قواعد يسير عليها الناس في الاعراب ويهتمون ان تكون محكمة دقيقة كي تكون صالحة

للتطبيق والحديث اليومي بانتظام لهذا اخذوا اللغة من الكلام المشهور المتكرر من كلام العرب - 00:04:16
اما النادر والشاذ فقد اثبتوه ولكنهم لم يأخذوا به وكذلك كانوا يتحرون في من يأخذون منه اللغة من العرب اما الكسائي الذي اسس مدرسة الكوفة فقد اخذ من كل ما تقوله العرب - 00:04:35
حتى لو كان شاذا نادرا. وحتى لو كان الاستعمال لا يجري على السنة الغالبية العظمى من العرب. ولا ينطبق على القواعد العامة للكلام حتى لو كان كذلك فانه يأخذ به ايضا - 00:04:51
قال السيوطي في كتاب بغية الوعاة ان الكسائي كان يسمع الشاب الذي لا يجوز الا في الضرورة فيجعله اصلا ويقيس عليه فافسد النحو بذلك فاذا اضفت ان الكوفيين كانوا اكثر رواية بالشعر مع ما فيه من شعر مصنوع موضوع مقارنة بالبصريين الذين يدققون - 00:05:07
الشعر ويتحرون عن اصله وصحته علمت ان طريقة اخذ الشواهد تختلف كثيرا بين البصريين والكوفيين المصريون كانوا اكثر حرية في وضع القواعد واقرب للطريقة العلمية واكثر تنظيما بكثير. اما الكوفيون فكانوا - 00:05:30
يحترمون كثيرا كل ما ورد عن العرب وكان البصريون اكثر ثقة في المنهج الذي وضعوه وكما قلت كان البصري يتحرج عن الاخذ بالكوفي لانه لا يثق في منهجيته بينما يجلس الكوفي الى البصري ويأخذ منه العلم ولا يرى حرجا في هذا - 00:05:51
والان نتكلم عن رحلة سيبويه الى بغداد ومواجهته للامام الكسائي في المسألة الزنبورية بعدما توفي رأس النحو في البصرة الخليل بن احمد الفراهيدي دعا صيت تلميذه سيبويه واصبح رأس علماء البصرة - 00:06:12
اراد سيبويه الذهاب الى بغداد دار الخلافة لعرض ما عنده ومناقشة اهلها حدثت هذه الرحلة في عهد هارون الرشيد الذي كان الكسائي قد تولى تربيته وتربية ابنائه اراد سيبويه ان يعرض على بغداد ما عنده فسافر اليهم بمفرده على ما تجمع الروايات - 00:06:37
وكان صغيرا في السن. في الثلاثينيات من عمره او في اوائل الاربعينيات وهو سن الطموح والبحث عن المزج المادي والحق الادبي وكان الكوفيون حتى ذلك الوقت يستأثرون بهذا المجد والشهرة وبقرب الخلفاء منهم - 00:07:01
لهذا اراد سيبويه ان يفتح باب الخلفاء والامراء للبصريين وكان واثقا من قدرته على الظفر وعرض علمه المحكم اراد ان يبرهن لمجتمع بغداد الحاكم ان علم البصريين افضل واحكم من علم الكسائي - 00:07:20
اما المناظرة فحسب افضل الروايات هي ما ذكره ياقوت الحموي في معجمه نقلا عن الاخفش والمبرد وثعلب ان سيبويه قدم على يحيى البرمكي وزير الرشيد وطلب منه ان يجمعه مع الكسائي - 00:07:38
وقال له يحيى لا تفعل. فانه شيخ مدينة السلام وقارئها مدينة السلام او دار السلام لمن لا يعرف هو لقب مدينة بغداد قال له كذلك انه مؤدب ولد امير المؤمنين. وكل من في مصر له ومعه. اي ان كل من في هذا البلد في صفه - 00:07:55
فابى سيبويه الا ان يجمع بينهما ومعنى هذا ان يحيى البرمجي كان يعلم الى ماذا سيؤول اليه هذا الامر من غير المعقول ان يأتي شاب صغير من مدينة البصرة مهما بلغ علمه وذكاؤه ليتحدى شيخ القرآن ورأس العلماء ومربي - 00:08:17
واولاده داخل العاصمة وامام كل تلاميذه يشبه الامر تماما اذا اقدمت انا وانا صيدلي من خارج السلك الاكاديمي للغة العربية بتحدي عميد كلية لغة عربية ومشهور وله مؤلفات ومعجبون وتلاميذ - 00:08:37
وقررت ان اتحداه في مدرج كليته امام زملائه وتلاميذه مهما كنت مصيبا فانني اكون ساذجا لو توقعت انني سانتصر عليه ببساطة الطبيعة البشرية لا تعمل بهذه الطريقة وفي بعض المصادر ان تلاميذ الكسائي قابلوا سيبويه اولا فحاولوا استفزازه وتخطئته وتحدثوا معه بطريقة لم تعجبه - 00:08:57
وقال ان هذا سوء ادب اي ان الاجواء لم تكن محايدة منذ اللحظة الاولى وهذا يدل على التوتر القائم بالفعل بين اهل البصرة والكوفة دخل سيبويه على الكساء وقد شق عليه امره وكان مع الكسائي خلق كثير من العرب - 00:09:23
فلما جلس سيبويه قال له الكسائي يا بصري ولم يناده باسمه وهذا يدل ان الخلاف ليس بين الاشخاص بل بين الكوفة والبصرة قال له كيف تقول خرجت واذا زيد قائم - 00:09:45

فرد عليه خرجت واذا زيد قائم قال هل يجوز خرجت واذا زيدا قائما؟ قال لا يجوز قال الكسائي كيف تقول كنت اظن ان العقرب اشد لسعة من الزنبور فاذا هو هي - 00:10:02
او فاذا هو اياها معنى السؤال كان يظن ان لسعة العقرب اقوى من لسعة الزنبور. ولكنه وجد لسعة الزنبور مؤلمة مثل العقرب معنى السؤال هل يجوز ان ترفع فتذكر ضمير الرفع هي ام تنصب فتقول اياها - 00:10:21
قال سيبويه فاذا هو هي اي بالرفع ولا يجوز النصب وقال الكسائي لحنت وخطأه الجالسون. العرب ترفع ذلك وتنصبه محور الخلاف ان سيبويه قال انها ترفع فقط. لان هذا ما ورد في القرآن الكريم - 00:10:43
وساذكر الايات التي تؤيد رأي سيبويه بعد قليل ولان هذا ما عليه الكثرة الكبيرة والمعتاد في كلام العرب. ولا عبرة للنادر والقليل الذين كانوا ينصبون وهذا هو تماما المتوقع من رأس النحو في البصرة - 00:11:04
اما الكسائي فهو يقبل اي قول ورد من العرب. حتى لو كان نادرا او قال به عرب غير فصحاء وهذه تماما طريقة تفكيره ولهذا اصر سيباويه ان الرفع فقط هو الذي يجوز - 00:11:22
واصر الكسائي ان الرفع يجوز والنصب يجوز وعندما اصر كل طرف على كلامه قال يحيى ابن خالد البرمكي قد اختلفتما وانتما رئيس بلديكما. فمن يحكم بينكما فرد عليه الكسائي هذه العرب ببابك. قد وفدت عليك من كل صوب - 00:11:38
اي ان العرب قريبون من بغداد اتوا اليها من كل ناحية فلنسألهم فاتوا بعرب من الحطمة. وهؤلاء يسكنون على بعد ميل واحد من بغداد واذا كنت تعرف المنهج البصري فستدرك انهم لا يقبلون بشهادة مثل هؤلاء - 00:12:00
لان العربي الذي يؤخذ منه الكلام يجب ان يكون من اهل البادية الذي لا يخالط الاجانب وعندما اتى ثلاثة من هؤلاء الاعراب شهدوا بما اراد الكسائي وبهذا اعتبر ان سيبويه قد خسر مناظرة المسألة الزنبورية - 00:12:19
والان نحلل ما حدث على شكل نقاط صار كلام كثير حول صحة شهادة هؤلاء الاعراب من ناحية هل هم اهل للحكم اصلا؟ ومن ناحية اخرى انهم كانوا يقيمون في ضواحي بغداد ويعرفون جيدا من هو - 00:12:38
نسائي شيخ المدينة وصديق الخليفة وهو يطلب شهادتهم في مقابل شاب صغير لا يعرفه احد قادما من البصرة من المرجح جدا انهم لم يرغبوا في اغضاب الكساء حتى بدون ان يطلب منهم اي شيء. فان ثقل اسمه فقط يكفي - 00:13:02
كان سيبويه يستند الى منهجيته التي ترتكز على الكلام المضطرد المتكرر من العرب. ولا يأخذ بالنادر. خاصة اذا ما اتى من مصدر لا يرتقي للمعايير. كهؤلاء العرب الذين يقيمون قرب بغداد في بلاد الاجانب وخالطوهم كثيرا - 00:13:24
هذه المنهجية دقيقة اذا ليست المسألة خلافا شخصيا فقد قال كل منهما تماما ما يؤمن به بصدق ولو استوعب المشاهد عقلية كل مدينة لتوقع تماما كيف ستسير هذه المواجهة؟ لان النتيجة تتماشى تماما مع المقدمات - 00:13:44
اتت ايات القرآن الكريم مؤيدة لما قال سيبويه مثلا قال الله تعالى ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين اتت كلمة بيضاء مرفوعة ايضا فانما هي زجرة واحدة اتت كلمة زجرة مرفوعة - 00:14:04
ايضا فاذا هم خامدون اتت كلمة خامدون مرفوعة سيكون الاعراب في هذه الحالات مبتدأ وخبرا طبعا لا يستطيع الكسائي ان ينكر الايات ولا ينكر ان الشائع من كلام العرب انهم يرفعون في هذا الموضع - 00:14:26
ولكنه تمسك بقول البعض انهم يجيزون النصب اذا اردت ان تعرف لما فعل هذا فراجع الحلقة السابقة مباشرة عندما تحدثت عن الكسائي خاصة النصف الثاني من الحلقة لابد ان نسيبويه احتج بالقرآن الكريم. ولابد انه دافع عن رأيه - 00:14:45
واتوقع انه لو كان الخليل ابن احمد هو الحاضر في هذه المناظرة لانتهت بشكل اخر لان عقل الخليل كان اسطوريا. ولن يعدم الجدال والمحاججة. ولان مقامه كان عاليا اسباب هزيمة سيباويه ليس المنهج الصحيح والخطأ. بل التحامل ضده من مجتمع العاصمة بغداد الذين كانوا يفضلون - 00:15:06
كوفة على البصرة. لقد كانت ظروف المناظرة بوجه عام منحازة للكسائي وترغب في فوزه ايضا هناك عامل اخر ضد سيبويه وهو انه كان في لسانه حبسا ولم يكن من النوع المتكلم المجادل الذي يكسب في جولات كلامية - 00:15:32

ولكنه كما قال عنه معاوية ابن بكر العليمي سمعته يتكلم ويناظر في النحو وكانت في لسانه حبسا ونظرت في كتابه فقلمه احسن من لسانه ويوجد اثر منسوب الى الاصمعي يقول فيه ان لكنة سيبويه هي سبب هزيمته - 00:15:52

كذلك عدم اصطحابه لانصاره فقد ذهب وحيدا فيما كان خصمه محاطا بتلاميذه ووزراء الخليفة والخليفة نفسه على بعض الاقوال ولا ننسى ان الكسائي هو مربي الخليفة واولاد الخليفة ومن غير اللائق كما يقول البعض ان الكسائي دفع الاموال لهؤلاء الاعراب كي يشهدوا له - 00:16:13

وقد كان الكسائي اكبر من هذا بكثير وهو قارئ قرآن وموضع ثقة لا شك فيه كذلك من الخطأ القول انهم تحيزوا ضد سيبويه لانه فارسي. فالكسائي فارسي ايضا وهذا ينسف تماما هذا الرأي مع ان هناك من يقوله - 00:16:38

وعلى كل حال فقد انتصر الزمن لسيباويه. لان طريقته وطريقة تفكير النحو البصري اضبط للقاعدة ولو كان الطريقة الكسائي رحمه الله سارية لوجدت لكل حكم اعرابي صورا لا تنتهي بحيث يستحيل تقريبا ان تستخرج - 00:16:58

قاعدة للكلام لان كل شيء تقريبا سيكون جائزا النحو الذي ندرسه الان على كل حال هو اقرب كثيرا للمنهج البصري. او هو المنهج البصري مع بعض التعديلات والتحسينات التي تراكمت بطبيعة الزمان - 00:17:17

وارجو من المشاهدين الاعزاء الا يدخلوا الحساسيات المذهبية والقومية عند مناقشة هذه القضية في التعليقات. وان ينظروا لها فقط بعين اللغة النقطة الاخيرة هي حزن سيبويه ووفاته بعد هذه المسألة بقليل - 00:17:34

كان سيبويه قد ذهب الى مقر الخلافة ليحصل على المجد الذي يرى انه يستحقه ولكنه رأى انه اخذ منه بغير وجه الحق فلم يطب له المقام في بغداد وهي مدينة تتحيز ضده - 00:17:59

كذلك لم يرغب في العودة الى البصرة ربما لانه احس بخيبة الامل وانه يحتاج الى هدنة يرتاح فيها وبالطبع لن يذهب الى الكوفة مدينة خصومه تولى وجهه ناحية بلاده التي نشأ فيها الى قرية البيضاء في شيراز في فارس - 00:18:15

ولكن خيبة الامل كانت تحرق اعصابه. ويبدو انه لم يحتملها روي انه مات بالضرب وهو فساد المعدة. ومن الناحية الطبية الحديثة وبصفتي صيدلي فهذا معروف جدا. العلاقة الضغط النفسي الشديد وامراض المعدة والجهاز الهضمي. لهذا تبدو قصة وفاته معقولة وحقيقية - 00:18:35

رحمهم الله جميعا. فقد اثرت هذه المناظرة وما بعدها في دراسة اللغة العربية. وتناولها العلماء بالدراسة والشرح والتعقيب حتى وصلت لنا اللغة بهذه الصورة النقية ارجو ان اكون قد وفقت في عرض هذه المسألة عرضا موضوعيا لا تحيز فيه. ولو انني اتوقع بالطبع انه لن يعجب البعض - 00:19:02

شكرا لكم على متابعة هذه الحلقة. لا تنسى ان تضع علامة الاعجاب وان تشترك على قناة مدرسة الشعر العربي ولا تنسى ان تضع التعليق المناسب في قسم التعليقات شكرا لكم. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - 00:19:26